همسة ودّ

التفكير .. وراء حجاب

د. أحمد عبدالملك

مازلتُ أُخبر طالباتي في الكلية بأن هدف التعليم ليس لحفظ المعلومات وإجابة أسئلة الامتحان والحصول على ٣ ساعات مكتسبة !. بل إن هدف التعليم يتجلى في إيجاد الإنسان القادر على التعامل مع معطيات العصر، الواسع الذهن، الصافي التفكير، والذي يستطيع التحليل السليم عبر المنهج السليم.

وأن المربين لا يضعون المناهج اعتباطاً، كما أنه من غير المُجدي أن يقبل الطالب المنهج على عواهنه، بل إن استخدام (التفكير النقدي) من الأمور المهمة التي تضع المنهج على المحك. ولقد ولت أيام « البصمة» على النص !. والإيمان بكل ما يقوله المدرس أو الكتاب، أو مصادر حق الطالب في إبداء وجهة نظره فيما يدرسه أو يُطلب منه أن يقتنع به.

إن عملية التلقين الرأسي، وإن صحّت في بعض المناهج لبعض الوقت، إلا أنها لا تصح لكل الوقت لكل المناهج !. وأن إعطاء الطالب حرية الرد والتفكير من الأمور التي تعينه على خلق شخصيته المستقلة، خصوصاً وأنه قادم من بيئة حتّمت عليه طاعة الكبير، وعدم رفع صوته حتى وإن كان مصيباً.

يوجد في مجتمعات الخليج خجل واضح من إبداء الرأي، حتى بين الجنسين، لأن طبيعة المجتمع قد أمنت السكوت، حتى في القضايا الخارجة على السياسية، واُعتبر الصمت من (زينة الرجال)، حتى ولو انتقص ذاك من حق الإنسان الذي وهبه إياه الخالق تعالى.

ولقد ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي في زياد جرعة الصمت، وتم الاستعاضة بهذه الأدوات عن الحوار الهادف والمواجهي، الذي يحقق التواصل الإنساني، حيث طغت رسائل (الواتس آب) وغيرها على ملامح الحراك المجتمعي حتى في أدق الأمور الحياتية. ونلاحظ أن ذلك قد « شتّتَ» المجتمع أو «قطّعَ» التواصل بين أفراده، بل بين أفراد العائلة ذاتها. واستعاض الناس عن روح الحميمية والأسرية بإرسال تلك الرسائل الخاصة بدعوات الزواج أو الإخبار عن حالات الوفاة أو المناسبات الاجتماعية، بكلمات مقتضبة وسريعة، قد ينساها الإنسان بعد لحظات نتيجة الكم المتراكم من تلك الرسائل وتنوعها.

وإذا ما أضفنا حالة عدم القراءة إلى غياب الحوار الاجتماعي، ورداءة البرامج الإذاعية والتلفزيونية «في اغلب المحطات العربية» فإننا نواجه بجيل مُغيّب عن دور الوطني والقومي والاجتماعي بل والعاطفي. جيل غير قادر على كتابة مذكرة من عشرة سطور دون أخطاء نحوية أو إملائية، وهو خريج جامعة!. جيل لا يستطيع التعبير الشفوي عن ذاته أو أفكاره لأنه أدمن التعبير من وراء حجاب، أو تحت اسم مستعار، كما نلاحظهم في (تويتر)، حيث تظهر شجاعة (عنترة) وفصاحة (المتنبي)، كون الشخص متخفياً وراء اسم مستعار. وهذا يُضعف الشخصية ويجعلها غير مستقرة، قابلة للاستفزاز والتحايل والكراهية.

إن خلق إنسان قادر على التعامل مع الحياة من أهم أهداف التعليم، ولقد ولى زمان (فك الخط) أو (أريد أبني أن يصبح كاتباً) أي موظفاً لدى الحكومة. لأن الإدارة الجديدة تعتمد في الأساس على تكوين شخصية الموظف، ومدى قدرته على التلاؤم مع عصره، والتأقلم مع بيئة العمل، والإحساس العالم بما يجول في خاطر المجتمع. صحيح قد تكون (الواسطة) سبباً في وجود بعض المدراء والموظفين السيئين، ولن التاريخ لن يتسامح معهم.